المحاضرة الثامنة: المدرسة التوليدية التنحويلية.

المدرسة التوليدية التحويلية:

قبيل عام ١٩٦٠ دخل النحو الحديث أهم مراحل تطوره، ففي ذلك الحين تحديدا تأسس النحو التوليدي generative grammar ،وقد وضع هذا المصطلح لكي يؤكد أن مثل هذا النحو يقصد به الكشف عن القواعد الحاكمة على بنية الجملة و تراكيبها، و يطلق الباحثون مصطلح النحو التحويلي transformational grammar ،على نمط من أنماط النحو التوليدي نهض على أساس منهج معين في التحليل قدمه تشومسكي.[١٠٨]

إن النحو التوليدي لم يعد محاكيا للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم و الأهداف، لأنه لا يرمي إلى تحديد المعايير التي تمكن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالا سليما دون أخطاء،بل إن النحو عنده هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم، الراسخة فيه و المكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته. والتي تمكنه فيما بعد من اكتساب لغات أخرى. كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها بعد، ومن هنا يصبح نحو تشومسكي توليديا. فالنحو عنده ليس المعرفة غير الواعية بقواعد اللغة فحسب، بل إنه القدرة على اكتشاف هذه القواعد، و وصف اللغة بواسطته.[١٠٩]

النحو التوليدي كما يقول تشومسكي هو: نظام من القواعد التي تقدم وصفا تركيبيا للجمل بطريقة واضحة، و أكثر تحديدا و هذا هو المراد بالنحو التوليدي، وكل متكلم تكلم لغة، يكون قد استعملها واستبطن نحوا توليديا. وهذا لا يعني أنه على وعي بالقواعد الباطنية التي يكون قد استعملها أو سيكون على وعي بها...إن النحو التوليدي يهتم بما يعرفه المتكلم فعلا وليس ما يمكنه أن يرويه من معرفته..[١١٠]

مبادئ النحو التوليدي:

١- التوليد:

يعد التوليد من أهم المفاهيم التي تميز بها هذا النحو، و يقصد به القدرة عللى الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد، في كل لغة، وفهمها، ثم تمييزها عما هو غير سليم لغويا.

2 - التحويل:

تحتل التحويلات المكانة الرئيسية في القواعد التشوميسكية، و تكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية،فهي تربط البنى العميقة بالبنى السطحية، ولكن إذا ما اقتضى الأمر تطبيق أكثر من عملية تحويلية، فإن البنى المتوسطة يقوم بتوليدها عدد من التحويلات حتى يتم تكوين البنية السطحية.

البنية العميقة	التحويلات	البنية السطحية
المعنى	⟸	الشكل المستعمل في التواصل

ميز تشوميسكي في كتابه: البنى التركيبية ١٩٥٧، بين الجملة الأساسية التي أطلق عليها الجملة النواة و الجملة المشتقة التي أطلق عليها الجملة المحوَّلة، و وصف الجملة النواة بأنها بسيطة، وتامة و صريحة و إيجابية، و مبنية للمعلوم، و الجملة المحولة بأنها تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة، و تكون إما استفهاما، أو أمرا، أو نفيا، أو معطوفة، أومتبعة، أو مدمجة. و قال بأن التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة، و أتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية أو جوازية، منها: الاستفهام، و النفي و الأمر و المجهول، و العطف و الدمج و الإتباع والزمن والملحقات و الحدود الفاصلة....[١١٧]

٣- الكفاية اللغوية و الأداء الكلامي:

يستطيع كل انسان ينشأ في بيئة معينة، التعبير بلغة هذه البيئة، وهذا يعني أن بإمكانه فهم عدد غير متناه من جمل هذه اللغة و صياغته حتى ولو لم يسبق له سماعه من قبل. وليست مقدرة الانسان هذه محدودة، بل بإمكانه في كل آن و بصورة عفوية، فهم جمل اللغة و صياغتها. يتم له ذلك باتباعه قواعد معينة يكتسبها من ضمن اكتسابه اللغة.

في إطار النظرية الألسنية التوليدية التحويلية، نسمي المقدرة على إنتاج الجمل و تفهمها، في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية. ونميز بين الكفاية اللغوية و بين ما نسميه

بالأداء الكلامي. فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة، في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين.[١١٨]

عندما نقول إن الانسان يستعمل عند التكلم معرفته الضمنية بتنظيم قواعد لغته،أي كفايته اللغوية، لا يعني هذا أنه بستعملها بصورة متوافقة و متكاملة. وذلك لأن الأداء الكلامي و إن يكن ناجما عن الكفاية اللغوية، فإنه يتضمن في الحقيقة عددا من المظاهر التي بالإمكان اعتبارها طفيلية بالنسبة إلى التنظيم اللغوي الكامن ضمن الكفاية اللغوية. و ترجع هذه المظاهر الطفيلية إلى عوامل مترابطة و خارجة عن إطار اللغة.نذكر منها العوامل السيكولوجية: الذاكرة، الانفعالية، الانتباه...، و العوامل السوسيو ـ ثقافية: الانتماء إلى مجموعة اجتماعية، طريقة التدريس اللغوي.

والأولوية في الدراسة تكون للكفاية اللغوية بالذات، و نعتمد في دراستنا على التجريد بالنسبة إلى معطيات الأداء الكلامي، فنهمل المظاهر الطفيلية المرافقة لهذا الأداء[١١٩].

جدول توضيحي يبين الفرق بين الكفاية اللغوية و التأدية الفعلية[١٢٠]:

الأداء الفعلي للغة	الكفاية اللغوية
- هو عمل منجز، ومحسوس. - هو تلك التحولات الناتجة عن الأصل. - هو كلام منجز قد يطابق الأصل، وقد يختلف عنه بحسب ظروف المنجز للكلام. - هو حركة.	- هي قدرة ذهنية. - هي الأصل. - هي التي تمثل القواعد السليمة في كل الحالات. - هي نموذج تنظيمي للحركة.

٤- البنية السطحية و البنية العميقة:

إن أول من استعمل مصطلحي البنية السطحية و البنية العميقة هو تشارلز هوكيت، و لم يستخدمهما تشومسكي بوضوح إلا في كتابه: مظاهر النظرية التركيبية،١٩٦٥.

ملخص القول: إن لكل جملة بنيتين: بنية عميقة و بنية سطحية.

- البنية العميقة فهي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، و يمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية.
- البنية السطحية تتمثل في الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز.[١٢١]
- فالجملتان: كتب أحمد الرسالة، و كُتِبت الرسالة من قبل أحمد، لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية، أي على مستوى البنية السطحية، و لكنهما مرتبطتان ارتباطا وثيقيا، على مستوى البنية العميقة ما لم نقل متطابقتان.[١٢٢]